سورة قٓ

مكية [إلا آية ٣٨ فمدنية]
وآياتها ٤٥ نزلت بعد [المرسلات]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿قٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ﴿١﴾ بَلْ عَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ۖ ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ ﴿٣﴾﴾

الكلام في ﴿قٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ﴿١﴾ بَلْ عَجِبُوٓا۟﴾ نحوه في ﴿صٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ﴿١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [ص: ١ ـ ٢] سواء بسواء، لالتقائهما في أسلوب واحد. والمجيد: ذو المجد والشرف على غيره من الكتب، ومن أحاط علمًا بمعانيه وعمل بما فيه: مجد عند الله وعند الناس، وهو بسبب من الله المجيد، فجاز اتصافه بصفته. قوله بل عجبوا: ﴿أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ﴾ إنكار لتعجبهم مما ليس بعجب، وهو أن ينذرهم بالمخوف رجل منهم قد عرفوا وساطته فيهم وعدالته وأمانته، ومن كان على صفته لم يكن إلا ناصحًا لقومه مترفرفًا[1] عليهم، خائفًا أن ينالهم سوء ويحل بهم مكروه، وإذا علم أنّ مخوفًا أظلهم، لزمه أن ينذرهم ويحذرهم، فكيف بما هو غاية المخاوف ونهاية المحاذير، وإنكار لتعجبهم مما أنذرهم به من البعث، مع علمهم بقدرة الله تعالى على خلق السمٰوات والأرض وما بينهما، وعلى اختراع كل شيء وإبداعه، وإقرارهم بالنشأة الأولى، ومع شهادة العقل بأنه لا بدّ من الجزاء. ثم عوّل على أحد الإنكارين بقوله تعالى: ﴿فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ أَءِذَا مِتْنَا﴾ دلالة على أن تعجبهم من البعث أدخل في الاستبعاد وأحق بالإنكار، ووضع الكافرون موضع الضمير للشهادة على أنهم في قولهم هذا مقدمون على الكفر العظيم. وهذا إشارة إلى الرجع؛ وإذا منصوب بمضمر؛ معناه: أحين نموت ونبلى نرجع؟ ﴿ذَٰلِكَ

---

(١) قوله: «مترفرفًا عليهم» في الصحاح: فلان يرفنا، أي: يحوطنا. ورفرف الطائر: إذا حرك جناحيه حول الشيء يريد أن يقع عليه. ورف لونه بالفاء رفًا ورفيفًا: برق وتلألأ. وثوب رفيف وشجر رفيف: إذا تدانت أوراقه. وفيه أيضًا: ترقرق الشيء بالقاف: تلألأ. (ع)

﴿رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾ مستبعد مستنكر، كقولك: هذا قول بعيد. وقد أبعد فلان في قوله. ومعناه: بعيد من الوهم والعادة. ويجوز أن يكون الرجع بمعنى المرجوع. وهو الجواب، ويكون من كلام الله تعالى استبعادًا لإنكارهم ما أنذروا به من البعث، والوقف قبله على هذا التفسير حسن. وقرئ: «إذا متنا» على لفظ الخبر، ومعناه: إذا متنا بعد أن نرجع، والدّال عليه ﴿ذَٰلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾. فإن قلت: فما ناصب الظرف إذا كان الرجع بمعنى المرجوع؟ قلت: ما دلّ عليه المنذر من المنذر به، وهو البعث.

﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ ۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌ ﴿٤﴾﴾

﴿قَدْ عَلِمْنَا﴾ ردّ لاستبعادهم الرجع، لأن من لطف علمه حتى تغلغل إلى ما تنقص الأرض من أجساد الموتى وتأكله من لحومهم وعظامهم، كان قادرًا على رجعهم أحياء كما كانوا. عن النبّي ﷺ: «كل ابن آدم يبلى إلا عجب الذنب» (١٤٩٢)، وعن السدي: ﴿مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ﴾ ما يموت فيدفن في الأرض منهم ﴿كِتَٰبٌ حَفِيظٌ﴾ محفوظ من الشياطين ومن التغير، وهو اللوح المحفوظ. أو حافظ لما أودعه وكتب فيه.

﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ ﴿٥﴾﴾

﴿بَلْ كَذَّبُوا۟﴾ إضراب أتبع الإضراب الأوّل، للدلالة على أنهم جاءوا بما هو أفظع من تعجبهم؛ وهو التكذيب بالحق[1] الذي هو النبوّة الثابتة بالمعجزات في أوّل وهلة من غير

١٤٩٢ ـ أخرجه البخاري (٩/ ٥١٥)، كتاب: التفسير، باب: ٤ الحديث (٤٨١٤)، ورواه في (٩/ ٦٩٩) في التفسير الحديث (٤٩٣٥) ومسلم (٩/ ٣١٧) كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ما بين النفختين الحديث (٢٩٥٥)، وأبو داود (٢/ ٦٤٩) كتاب السنة، باب في ذكر البعث والصور الحديث (٤٧٤٣)، والنسائي (٤/ ١١١ ـ ١١٢) كتاب الجنائز، باب أرواح المؤمنين وابن ماجه (٢/ ١٤٢٥) كتاب الزهد، باب ذكر القبر والبلى الحديث (٤٢٦٦). ومالك في الموطأ (١/ ٢٣٩) كتاب الجنائز، باب جامع الجنائز، وأحمد في المسند ٢/ ٣٢٢، ٤٢٨، ٤٩٩، وابن حبان في صحيحه (٧/ ٤٠٧، ٤٠٨) رقم (٣١٣٨، ٣١٣٩)، وروى الحاكم في المستدرك (٤/ ٦٠٩) وابن حبان في صحيحه (٧/ ٤٠٩) رقم (٣١٤٠)، وأبو يعلى في مسنده (٢/ ٥٢٣) رقم (١٣٨٢)، وأحمد (٣/ ٢٨) كلهم من طريق أبي سعيد قال: قال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «يأكل التراب كل شيء من الإنسان إلا عجب ذنبه»، قيل: وما هو يا رسول الله؟ قال: «مثل حبة خردل منه ينشأ».
وقد ذكره الهيثمي في المجمع (١٠/ ٣٣٦) وقال: رواه أحمد وإسناده حسن. . ا. هـ.
وقال الحافظ ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف: متفق عليه من حديث أبي صالح عن أبي هريرة وأخرجه الحاكم من حديث أبي سعيد، وزاد «قالوا: ما هو يا رسول الله؟ قال: هو مثل حبة الخردل، منه ينبتون». انتهى.

---

(١) قال السمين الحلبي: وقال الشيخ: وكان هذا الإضراب الثاني. بدلاً من الأول. قلت: وإطلاق هذا =

تفكر ولا تدبر ﴿فَهُمْ فِيٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ﴾ مضطرب. يقال: مرج الخاتم في أصبعه وجرج؛ فيقولون تارة: شاعر، وتارة: ساحر، وتارة: كاهن، لا يثبتون على شيء واحد: وقرئ: «لما جاءهم» بكسر اللام وما المصدرية، واللام هي التي في قولهم لخمس خلون، أي: عند مجيئه إياهم، وقيل: ﴿الحَقّ﴾: القرآن. وقيل: الإخبار بالبعث.

﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾﴾

﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ﴾ حين كفروا بالبعث إلى آثار قدرة الله في خلق العالم ﴿بَنَيْنَٰهَا﴾ رفعناها بغير عمد ﴿مِن فُرُوجٍ﴾ من فتوق: يعني أنها ملساء سليمة من العيوب لا فتق فيها ولا صدع ولا خلل، كقوله تعالى: ﴿هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾ [الملك: ٣].

﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾﴾

﴿مَدَدْنَٰهَا﴾ دحوناها ﴿رَوَٰسِيَ﴾ جبالاً ثوابت لولا هي لتكفأت ﴿مِن كُلِّ زَوْجٍ﴾ من كل صنف ﴿بَهِيجٍ﴾ يبتهج به لحسنه ﴿تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ﴾ لتبصر به وتذكر كل ﴿عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾ راجع إلى ربه، مفكر في بدائع خلقه. وقرئ: «تبصرة وذكرى» بالرفع، أي: خلقها تبصرة.

﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ﴿١١﴾﴾

﴿مَآءً مُّبَٰرَكًا﴾ كثير المنافع ﴿وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ﴾ وحبّ الزرع الذي من شأنه أن يحصد، وهو ما يقتات به من نحو الحنطة والشعير وغيرهما ﴿بَاسِقَٰتٍ﴾ طوالاً في السماء: وفي قراءة رسول الله ﷺ: باصقات، بإبدال السين صادًا لأجل القاف ﴿نَّضِيدٌ﴾ منضود بعضه فوق بعض: إما أن يراد كثرة الطلع وتراكمه؛ أو كثرة ما فيه من الثمر ﴿رِّزْقًا﴾ على أنبتناها رزقًا، لأنّ الإنبات في معنى الرزق. أو على أنه مفعول له، أي: أنبتناها لنرزقهم ﴿كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ﴾ كما حييت هذه البلدة الميتة/ ٢/ ١٩٤أ، كذلك تخرجون أحياء بعد موتكم، والكاف في محل الرفع على الابتداء.

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَٰبُ

= في كتاب الله لا يجوز البتة، وقيل: قبل هذه الآية جملة مضروب عنها. تقديرها: ما أجادوا النظر بأن كذبوا، وما قاله الزمخشري أحسن. انتهى. الدر المصون.

﴿ٱلْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾﴾

أراد بفرعون قومه كقوله تعالى: ﴿بِفِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ﴾ [يونس: ٨٣] لأنّ المعطوف عليه قوم نوح، والمعطوفات جماعات ﴿كُلٌّ﴾ يجوز أن يراد به كل واحد منهم، وأن يراد جميعهم، إلا أنه وحد الضمير الراجع إليه على اللفظ دون المعنى ﴿فَحَقَّ وَعِيدِ﴾ فوجب وحلّ وعيدي، وهو كلمة العذاب. وفيه تسلية لرسول الله ﷺ، وتهديد لهم.

﴿أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٥﴾﴾

عيى بالأمر: إذا لم يهتد لوجه عمله، والهمزة للإنكار. والمعنى: أنا لم نعجز كما علموا عن الخلق الأوّل، حتى نعجز عن الثاني، ثم قال: هم لا ينكرون[1] قدرتنا على الخلق الأوّل، واعترافهم بذلك في طيه الاعتراف بالقدرة على الإعادة ﴿بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ﴾ أي في خلط وشبهة. قد لبس عليهم الشيطان وحيرهم. ومنه قول علي رضي الله عنه: يا حار[2]، إنه لملبوس عليك، اعرف الحق تعرف أهله. ولبس الشيطان عليهم: تسويله إليهم أن إحياء الموتى أمر خارج عن العادة، فتركوا لذلك القياس الصحيح: أن من قدر على الإنشاء كان على الإعادة أقدر. فإن قلت: لم نكر الخلق الجديد[3]، وهلا عرّف كما

---

(١) قوله: «ثم قال هم لا ينكرون» يعني كأنه قال ذلك بمعونة الإضراب. وقوله: «في طيه... إلخ» أي يلزمه ذلك وإن لم يقع منهم اللبس. (ع)

(٢) قوله: «يا حار إنه لملبوس» لعله ترخيم حارث. (ع)

(٣) وقع في النسخة ما أحكيه وصورته: «فإن قلت لم نكر الخلق الجديد... الخ» قال أحمد: هذا كلام كما تراه غير منتظم، والظاهر أنه لفساد في النسخة، والذي يتحرر في الآية ـ وهو مقتضى تفسير الزمخشري: أن فيها أسئلة ثلاثة: لم عرف الخلق الأول ونكر اللبس والخلق الجديد؟ فاعلم أن التعريف لا غرض منه إلا تفخيم ما قصد تعريفه وتعظيمه، ومنه تعريف الذكور في قوله: ﴿وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ﴾ ولهذا المقصد عرف الخلق الأول؛ لأن الغرض جعله دليلاً على إمكان الخلق الثاني بطريق الأولى أي إذا لم يعي تعالى بالخلق الأول على عظمته، فالخلق الآخر أولى أن لا يعيأ به؛ فهذا سر تعريف الخلق الأول. وأما التنكير فأمره منقسم: فمرة يقصد به تضخيم المنكر من حيث ما فيه من الإبهام، كأنه أفخم من أن يخاطبه معرفة؛ ومرة يقصد به التقليل من المنكر والوضع منه، وعلى الأول (سلام قولاً من رب رحيم) وقوله: (لهم مغفرة وأجر عظيم) و(إن المتقين في جنات ونعيم) وقوله: (بإيمان ألحقنا بهم ذرياتهم) وهو أكثر من أن يحصى. والثاني: هو الأصل في التنكير، فلا يحتاج إلى تمثيله، فتنكير اللبس من التعظيم والتفخيم، كأنه قال: في لبس أيّ لبس: وتنكير الخلق الجديد للتقليل منه والتهوين لأمره بالنسبة إلى الخلق الأول، ويحتمل أن يكون للتفخيم، كأنه أمر أعظم من أن يرضى الإنسان بكونه ملتبسًا عليه، مع أنه أول ما تبصر فيه صحته، ولعل إشارة الزمخشري إلى هذا والله أعلم، فهذا كما تراه كلام مناسب لاستطراف أسئلة وأجوبة، فإن يكن هو ما أراده الزمخشري فذاك، وإلا فالعق العسل ولا تسل.

عرّف الخلق الأول؟ قلت: قصد في تنكيره إلى خلق جديد له شأن عظيم وحال شديد. حق من سمع به أن يهتمّ به ويخاف، ويبحث عنه ولا يقعد على لبس في مثله.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾﴾

الوسوسة: الصوت الخفيّ. ومنها: وسواس الحلي. ووسوسة النفس: ما يخطر ببال الإنسان ويهجس في ضميره من حديث النفس. والباء مثلها في قولك: صوت بكذا وهمس به. ويجوز أن تكون للتعدية والضمير للإنسان، أي: ما تجعله موسوسًا، وما مصدرية، لأنهم يقولون: حدّث نفسه بكذا، كما يقولون: حدثته به نفسه. قال [من الرمل]:

وَٱكْذِبِ ٱلنَّفْسَ إِذَا حَدَّثْتَهَا .... (١)

﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ﴾ مجاز، والمراد: قرب علمه منه، وأنه يتعلق بمعلومه منه ومن أحواله تعلقًا لا يخفى عليه شيء من خفياته، فكأنه ذاته قريبة منه، كما يقال: الله في كل مكان، وقد جلّ عن الأمكنة. وحبل الوريد: مثل في فرط القرب، كقولهم: هو مني مقعد القابلة ومعقد الإزار. وقال ذو الرمة [من الرجز]:

---

(١) واكذب النفس إذا حدثتها ... إن صدق النفس يزري بالأمل
غير أن لا تكذبنها في التقى ... واخزها بالبر لله الأجل

للبيد بن ربيعة، وسئل بشار: أي بيت قالته العرب أشعر؟ فقال تفضيل بيت واحد على الشعر كله غير سديد، ولكنه أحسن لبيد في قوله: واكذب النفس، يقال: كذبه وصدقه مخففًا ومشددًا، بمعنى. وما هنا من الأول للوزن، أي: لا تصدقها إذا حدثتك بأمر وحدثتها فيه؛ لأنها مثبطة عن نيل الفضائل. طامحة إلى الرذائل، وهذا معنى «إن صدق النفس» أي: تصديقها، يزري بالأمل. يقال: زراه، إذا عابه. وأزرى به: إذا أوقع به العيب، غير أنه الحال والشأن لا تكذبها في تحديثها إياك بالتقى، والخوف من الله، فإن مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن. ويجوز أنه ضمير المخاطب، ولا ناهية، وإجراء الكلام على الاستثناء يحتاج إلى تكلف في بيان المستثنى والمستثنى منه، ويمكن إجراؤه على الاستدراك؛ لكن نصب «غير» يحتاج إلى الحمل على الاستثناء، ويحتمل أن تكون «أن» مصدرية «ولا» نافية أو زائدة، لكن تأكيد الفعل بالنون بعد النهي كثير، وبعد النفي قليل، ومع الإثبات في هذا شاذ أو ضرورة، ولا بد من إجراء الكلام بهذا الوجه على الاستثناء معنى ولفظًا. وقد قال القسطلاني في شرح صحيح البخاري باحتمال النهي والزيادة. وبعضهم باحتمال النفي في قوله ﷺ لعائشة حين حاضت في الحج: «فاقضي ما يقضي الحاج غير أن لا تطوفي بالبيت» وخزاه يخزوه: قهره وغلبه، أي: واقهرها بالخير لله الأجل الأعظم، وكأن في البر قهرًا لها لمشقته عليها عادة.

ينظر: ديوانه ص ١٨٠، ولسان العرب (كذب)، (خزا)، وجمهرة اللغة ص ٥٩٦، وتاج العروس (كذب)، (خزا)، وجمهرة الأمثال ١/ ٥١، وخزانة الأدب ٥/ ١١٢، وفصل المقال ص ١٧٣، وكتاب الأمثال ص ١١٦، وكتاب الأمثال لمجهول ص ٢٢، والمستقصى ١/ ٢٨٩، ومجمع الأمثال ٢/ ١٣٩.

وَالْـمَـوْتُ أَدْنَـى لـي مِـنَ الْـوَرِيـدِ[1]

والحبل: العرق، شبه بواحد الحبال، ألا ترى إلى قوله [من الرجز]:

كَـأَنْ وَرِيـدَيْـهِ رِشـاءا خُـلُـبِ[2]

والوريدان: عرقان مكتنفان لصفحتي العنق في مقدمهما متصلان بالوتين، يردان من الرأس إليه. وقيل: سمي وريدًا لأنّ الروح ترده. فإن قلت: ما وجه إضافة الحبل إلى الوريد، والشيء لا يضاف إلى نفسه؟ قلت: فيه وجهان، أحدهما: أن تكون الإضافة للبيان، كقولهم: بعير سانية. والثاني: أن يراد حبل العاتق فيضاف إلى الوريد، كما يضاف إلى العاتق لاجتماعهما في عضو واحد، كما لو قيل: حبل العلياء[3] مثلاً.

﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾

﴿إِذْ﴾ منصوب بأقرب، وساغ ذلك لأنّ المعاني تعمل في الظرف متقدّمة ومتأخرة، والمعنى: أنه لطيف يتوصل علمه إلى خطرات النفس وما لا شيء أخفى منه، وهو أقرب من الإنسان[4] من كل قريب حين يتلقى الحفيظان ما يتلفظ به، إيذانًا بأن استحفاظ الملكين أمر هو غني عنه؛ وكيف لا يستغني عنه وهو مطلع على أخفى الخفيات؟ وإنما

---

(١) هـل أغـدون فـي عـيـشـة رغـيـد؟ والـمـوت أدنـى لـي مـن الـوريـد

لذي الرمة. والاستفهام إنكاري، أي: لا أكون في عيشة واسعة والحال أن الموت أقرب إليّ من الوريد. وروي: أوفى. والمعنى واحد. والوريدان: عرقان في مقدم صفحتي العنق، سميا بذلك لأنهما يردان من الرأس. أو لأن الروح ترددهما. وقال: عيشة رغيد، كقول الله تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾ وإن كان قليلاً في فعيل بمعنى فاعل.

(٢) غـضـنـفـر تـلـقـاه عـنـد الـغـضـب كـأن وريـديـه رشـاءا خـلـب

لرؤبة. والغضنفر: الأسد. والوريدان: عرقان يردان من الرأس يكتنفان الحلقوم. وقيل: تردهما الروح. والرشاءان: حبلان للاستقاء. والخلب ـ بضمتين، وقد يسكن ـ: اللب والماء المخلوط بالطين. ويجوز أن يراد به هنا البئر الكدرة: شبه الشجاع بالأسد، وشبه وريديه عند الغضب بالرشاءين، وكأن هنا عاملة، وهي مخففة، وهو قليل، والكثير إهمالها. بل الكثير إعمالها!! حسن.

ينظر: ملحق ديوانه ص ١٦٩، وشرح التصريح ١/ ٢٣٤، والمقاصد النحوية ٢/ ٢٩٩، وبلا نسبة في لسان العرب (خلب)، (أنن)، والإنصاف ١/ ١٩٨، وأوضح المسالك ١/ ٣٧٥، وتخليص الشواهد ص ٣٩٠، والجنى الداني ص ٥٧٥، وخزانة الأدب ١٠/ ٣٩١، ٣٩٣، ٣٩٥، ٣٩٦، ٣٩٧، ٤٠٠، ٤١٢، ورصف المباني ص ٢١١، وشرح أبيات سيبويه ٢/ ٧٥، وشرح المفصّل ٨/ ٨٣، والكتاب ٣/ ١٦٤، ١٦٥، والمقرب ١/ ١١٠، وتاج العروس (خلب).

(٣) قوله: «لو قيل حبل العلياء» هي عصب العنق، كما في الصحاح. (ع)

(٤) قوله: «وهو أقرب من الإنسان» يقال: قرب من الشيء كما يقال: قرب إليه. (ع)

ذلك لحكمة اقتضت ذلك: وهي ما في كتبة الملكين وحفظهما، وعرض صحائف العمل يوم يقوم الأشهاد. وعلم العبد بذلك مع علمه بإحاطة الله بعمله. من زيادة لطف له في الانتهاء عن السيئات والرغبة في الحسنات. وعن النبي ﷺ: «إنّ مقعد ملكيك على ثنيتيك، ولسانك قلمهما، وريقك مدادهما، وأنت تجري فيما لا يعنيك لا تستحي من الله تعالى ولا منهما» (١٤٩٣) ويجوز أن يكون تلقي الملكين بيانًا للقرب، يعني: ونحن قريبون منه مطلعون على أحواله مهيمنون عليه، إذ حفظتنا وكتبتنا موكلون به، والتلقي: التلقن بالحفظ والكتبة. والقعيد: القاعد، كالجليس بمعنى الجالس، وتقديره: عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد من المتلقيين، فترك أحدهما لدلالة الثاني عليه، كقوله [من الطويل]:

... كُنْتُ مِنْهُ وَوَالِدِي بَرِيئًا .....[1]

﴿رَقِيبٌ﴾ ملك يرقب عمله ﴿عَتِيدٌ﴾ حاضر، واختلف فيما يكتب الملكان، فقيل: يكتبان كل شيء حتى أنينه في مرضه. وقيل: لا يكتبان إلا ما يؤجر عليه أو يؤزر به. ويدل عليه قوله عليه الصلاة والسلام: «كاتب الحسنات على يمين الرجل وكاتب السيئات على يسار الرجل، وكاتب الحسنات أمين على كاتب السيئات، فإذا عمل حسنة كتبها ملك اليمين عشرًا، / ٢/ ١٩٤ب وإذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال: دعه سبع ساعات لعله يسبح أو يستغفر» (١٤٩٤) وقيل: إنّ الملائكة يجتنبون الإنسان عند غائطه

١٤٩٣ ـ عزاه الزيلعي في تخريج الكشاف للثعلبي في التفسير أخبرني الحسن بن محمد بن الحسين الدينوري ثنا أحمد بن جعفر بن سليمان الختلي ثنا أحمد بن أيوب المرجاني ثنا جميل بن الحسن ثنا أرطاة بن الأشعث العدوي عن جعفر بن محمد عن أبيه عن علي بن أبي طالب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ «مقعد ملكيك...» إلى آخره. وقال الحافظ: أخرجه الثعلبي من رواية جميل بن الحسن عن أرطأة بن الأشعث العدوي عن جعفر بن محمد عن أبيه عن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ـ قال: «مقعد ملكيك» فذكره. انتهى.

١٤٩٤ ـ رواه البيهقي في شعب الإيمان (٥/ ٣٩٠) رقم (٧٠٤٩)، (٧٠٥٠)، (٧٠٥١).
والطبراني في الكبير (٨/ ٢١٧ ـ ٢١٨) رقم (٧٧٦٥)، والبغوي في معالم التنزيل (٤/ ٢٢٣)، والواحدي في الوسيط (٤/ ١٦٥) من حديث أبي أمامة.
وعزاه الزيلعي في تخريج الكشاف (٣/ ٣٥٨ ـ ٣٥٩) لابن راهويه في مسنده، وأبو نعيم في الحلية، وابن مردويه في تفسيره.
وروى الطبري في تفسيره (٧/ ٣٥٠) رقم (٢٠٢١١).
من حديث كنانة العدوي قال: دخل عثمان بن عفان على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال: يا رسول الله، أخبرني عن العبد كم معه من ملك؛ قال: ملك على يمينك على حسناتك، وهو أمين على الذي على الشمال، فإذا عملت حسنة كتبت عشرًا، وإذا عملت سيئة قال الذي على =

---

(١) تقدم.

وعند جماعه. وقرئ: «ما يلفظ» على البناء للمفعول.

﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾﴾

لما ذكر إنكارهم البعث واحتج عليهم بوصف قدرته وعلمه، أعلمهم أن ما أنكروه وجحدوه هم لاقوه عن قريب عند موتهم وعند قيام الساعة، ونبه على اقتراب ذلك بأن عبر عنه بلفظ الماضي. وهو قوله: ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ﴾ ونفخ في الصور، وسكرة الموت: شدّته الذاهبة بالعقل. والباء في بالحق للتعدية، يعني: وأحضرت سكرة الموت حقيقة الأمر الذي أنطق الله به كتبه وبعث به رسله. أو حقيقة الأمر وجلية الحال: من سعادة الميت وشقاوته. وقيل: الحق الذي خلق له الإنسان، من أن كل نفس ذائقة الموت. ويجوز أن تكون الباء مثلها في قوله: ﴿تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ﴾ [المؤمنون: ٢٠] أي وجاءت ملتبسة بالحق، أي: بحقيقة الأمر. أو بالحكمة والغرض الصحيح، كقوله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾ [الأنعام: ٧٣] وقرأ أبو بكر وابن مسعود رضي الله عنهما «سكرة الحق بالموت» على إضافة السكرة إلى الحق والدلالة على أنها السكرة التي كتبت على الإنسان وأوجبت له، وأنها حكمة. والباء للتعدية؛ لأنها سبب زهوق الروح لشدتها، أو لأنّ الموت يعقبها؛ فكأنها جاءت به. ويجوز أن يكون المعنى: جاءت ومعها الموت. وقيل سكرة الحق سكرة الله، أضيفت إليه تفظيعًا لشأنها وتهويلًا. وقرئ: «سكرات الموت» ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى الموت، والخطاب للإنسان في قوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾ [الحجر: ٢٦] على طريق الالتفات. أو إلى الحق والخطاب للفاجر ﴿تَحِيدُ﴾ تنفر وتهرب. وعن بعضهم: أنه سأل زيد بن أسلم عن ذلك فقال: الخطاب لرسول الله ﷺ؛ فحكاه لصالح بن كيسان فقال: والله ما سنّ عالية ولا لسان فصيح ولا معرفة بكلام العرب، هو

= الشمال للذي على اليمين: أكتب وذكر حديثًا طويلًا.

وقال الحافظ ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف: أخرجه الثعلبي والبغوي من طريق جعفر عن القاسم عن أبي أمامة. ومن هذا الوجه أخرجه الطبراني. وأخرجه البيهقي من هذا الوجه. ومن رواية بشر بن نمير عن القاسم نحوه. وأخرجه الطبراني من رواية ثور بن يزيد عن القاسم نحوه. وروى أبو نعيم في الحلية وابن مردويه من طريق إسماعيل بن عياش عن عاصم بن رجاء عن عروة بن رديم، عن القاسم عن أبي أمامة وعند الطبري من طريق علي بن جرير عن حمّاد بن سلمة عن عبد الحميد بن جعفر عن كنانة. قال: دخل عثمان بن عفان على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال: يا رسول الله، كم مع العبد ملك؟ ـ الحديث. انتهى.

للكافر. ثم حكاهما للحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس فقال: أخالفهما جميعًا: هو للبرّ والفاجر ﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ﴾ على تقدير حذف المضاف، أي: وقت ذلك يوم الوعيد، والإشارة إلى مصدر نفخ ﴿سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ ملكان: أحدهما يسوقه إلى المحشر، والآخر يشهد عليه بعمله. أو ملك واحد جامع بين الأمرين، كأنه قيل: معها ملك يسوقها ويشهد عليها؛ ومحل ﴿مَعَهَا سَآئِقٌ﴾ النصب على الحال من كلّ لتعرّفه بالإضافة إلى ما هو في حكم المعرفة. قرئ: «لقد كنتِ» عنكِ غطائكِ فبصركِ، بالكسر على خطاب النفس، أي: يقال لها لقد كنتِ. جعلت الغفلة كأنها غطاء غطى به جسده كله أو غشاوة غطى بها عينيه فهو لا يبصر شيئًا؛ فإذا كان يوم القيامة تيقظ وزالت الغفلة عنه وغطاؤها فيبصر ما لم يبصره من الحق. ورجع بصره الكليل عن الإبصار لغفلته: حديدًا لتيقظه.

﴿وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾﴾

﴿وَقَالَ قَرِينُهُۥ﴾ هو الشيطان الذي قيض له في قوله: ﴿نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾ [الزخرف: ٣٦] يشهد له قوله تعالى: ﴿قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ﴾ [ق: ٢٧]. ﴿هَٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ﴾ هذا شيء لديّ وفي ملكتي عتيد لجهنم. والمعنى: أن ملكًا يسوقه وآخر يشهد عليه، وشيطانًا مقرونًا به، يقول: قد أعتدته لجهنم وهيئته لها بإغوائي وإضلالي. فإن قلت: كيف إعراب هذا الكلام؟ قلت: إن جعلت ﴿مَا﴾ موصوفة، فعتيد: صفة لها: وإن جعلتها موصولة، فهو بدل، أو خبر بعد خبر. أو خبر مبتدأ محذوف.

﴿أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾﴾

﴿أَلْقِيَا﴾ خطاب من الله تعالى للملكين السابقين: السائق والشهيد: ويجوز أن يكون خطابًا للواحد على وجهين: أحدهما قول المبرد: إن تثنية الفاعل نزلت منزلة تثنية الفعل لاتحادهما، كأنه قيل: ألق ألق: للتأكيد. والثاني: أنّ العرب أكثر ما يرافق الرجل منهم اثنان، فكثر على ألسنتهم أن يقولوا: خليليّ وصاحبيّ، وقفا وأسعدا، حتى خاطبوا الواحد خطاب الاثنين، عن الحجاج أنه كان يقول: يا حرسيّ، اضربا عنقه. وقرأ الحسن «ألقين» بالنون الخفيفة. ويجوز أن تكون الألف في ﴿أَلْقِيَا﴾ بدلاً من النون: إجراء للوصل مجرى الوقف ﴿عَنِيدٍ﴾ معاند مجانب للحق معاد لأهله ﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ﴾ كثير المنع للمال عن حقوقه، جعل ذلك عادة له لا يبذل منه شيئاً قط. أو مناع لجنس الخير أن يصل إلى أهله يحول بينه وبينهم. قيل: نزلت في الوليد بن المغيرة، كان يمنع بني أخيه من الإسلام، وكان يقول: من دخل منكم فيه لم أنفعه بخير ما عشت ﴿مُعْتَدٍ﴾ ظالم متخط للحق ﴿مُّرِيبٍ﴾

شاكّ في الله وفي دينه ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ﴾ مبتدأ مضمن معنى الشرط، ولذلك أجيب بالفاء. ويجوز أن/ ٢/ ١٩٥أ يكون ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ﴾ منصوبًا بدلاً من ﴿كُلَّ كَفَّارٍ﴾ ويكون ﴿فَأَلْقِيَاهُ﴾ تكريرًا للتوكيد.

﴿۞ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾﴾

فإن قلت: لم أخليت هذه الجملة عن الواو وأدخلت على الأولى؟ قلت: لأنها استؤنفت كما تستأنف الجمل الواقعة في حكاية التقاول كما رأيت في حكاية المقاولة بين موسى وفرعون. فإن قلت: فأين التقاول ههنا؟ قلت: لما قال قرينه: ﴿هَٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ﴾ وتبعه قوله: ﴿قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ﴾ وتلاه: ﴿لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ﴾ [ق: ٢٨]: علم أنّ ثم مقاولة من الكافر، لكنها طرحت لما يدل عليها، كأنه قال: رب هو أطغاني، فقال قرينه: ربنا ما أطغيته. وأمّا الجملة الأولى فواجب عطفها للدلالة على الجمع بين معناها ومعنى ما قبلها في الحصول، أعني مجيء كل نفس مع الملكين: وقول قرينه ما قال له: ﴿مَآ أَطْغَيْتُهُۥ﴾ ما جعلته طاغيًا، وما أوقعته في الطغيان، ولكنه طغى واختار الضلالة على الهدى كقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى﴾ [إبراهيم: ٢٢].

﴿قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾﴾

﴿قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا۟﴾ استئناف مثل قوله: ﴿قَالَ قَرِينُهُۥ﴾ [ق: ٢٧] كأن قائلاً قال: فماذا قال الله؟ فقيل: قال لا تختصموا. والمعنى: لا تختصموا في دار الجزاء وموقف الحساب، فلا فائدة في اختصامكم ولا طائل تحته، وقد أوعدتكم بعذابي على الطغيان في كتبي وعلى ألسنة رسلي، فما تركت لكم حجة عليّ، ثم قال: لا تطمعوا أن أبدل قولي ووعيدي فأعفيكم عما أوعدتكم به ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ فأعذب من ليس بمستوجب للعذاب. والباء في ﴿بِٱلْوَعِيدِ﴾ مزيدة مثلها في ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ أو معدية، على أن «قدّم» مطاوع بمعنى «تقدّم» ويجوز أن يقع الفعل على جملة قوله: ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾﴾ ويكون ﴿بِٱلْوَعِيدِ﴾ حالاً، أي: قدّمت إليكم هذا ملتبسًا بالوعيد مقترنًا به. أو قدّمته إليكم موعدًا لكم به. فإن قلت: إنّ قوله: ﴿وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم﴾ واقع موقع الحال من ﴿لَا تَخْتَصِمُوا۟﴾ والتقديم بالوعيد في الدنيا والخصومة في الآخرة واجتماعها في زمان واحد واجب. قلت: معناه: ولا تختصموا وقد صح عندكم أني قدمت إليكم بالوعيد، وصحة ذلك عندهم في الآخرة، فإن قلت: كيف قال: ﴿بِظَلَّٰمٍ﴾ على لفظ المبالغة[1]؟ قلت: فيه

---

(١) قال محمود: «إن قلت كيف جاء على لفظ المبالغة... إلخ» قال أحمد: وذكر فيه وجهان آخران، =

وجهان، أحدهما: أن يكون من قولك: هو ظالم لعبده، وظلام للعبيد. والثاني: أن يراد لو عذبت من لا يستحق العذاب لكنت ظلامًا مفرط الظلم. فنفى ذلك.

﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾﴾

قرئ: «نقول» بالنون والياء. وعن سعيد بن جبير: يوم يقول الله لجهنم. وعن ابن مسعود والحسن: يقال. وانتصاب اليوم بظلام أو بمضمر. نحو: اذكر وأنذر. ويجوز أن ينتصب بنفخ، كأنه قيل: ونفخ في الصور يوم نقول لجهنم. وعلى هذا يشار بذلك إلى يوم نقول، ولا يقدّر حذف المضاف. وسؤال جهنم وجوابها من باب التخييل[1] الذي

= أحدهما: أن فعالاً قد ورد بمعنى فاعل، فهذا منه. الثاني: أن المنسوب في المعتاد إلى الملوك من الظلم تحت ظلمهم: إن عظيمًا فعظيم، وإن قليلاً فقليل، فلما كان ملك الله تعالى على كل شيء ملكه قدس ذاته عما يتوهم مخذول والعياذ بالله أنه منسوب إليه من ظلم تحت شمول كل موجود؛ ولقد بدل القدرية فتوهموا أن الله تعالى لم يأمر إلا بما أراده وبما هو من خلق العبد، بناء على أنه لو كلف على خلاف ما أراد وبما ليس من خلق العبد لكان تكليفًا بما لا يطاق، واعتقدوا أن ذلك ظلم في الشاهد، فلو ثبت في الغائب لكان كما هو في الشاهد ظلمًا، والله تعالى مبرأ من الظلم. ألا ترى هذا المعتقد كيف لزمهم عليه أن يكون الله تعالى ظلامًا لعبيده، تعالى الله عن ذلك؛ لأن الحق الذي قامت بصحته البراهين: هو عين ما اعتقدوه ظلمًا فنفوه، فلمثلهم وردت هذه الآية وأشباهها، لتبين للناس ما نزل إليهم، ولئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل، والله الموفق للصواب.

(١) قال محمود: «سؤال جهنم وجوابها من باب التخييل الذي يقصد به تصوير المعنى... إلخ» قال أحمد: قد تقدم إنكاري عليه إطلاق التخييل في غير ما موضع، والنكير ههنا أشد عليه؛ فإن إطلاق التخييل قد مضى له في مثل قوله: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ وفي مثل قوله: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ وإنما أراد به حمل الأيدي على نوع من المجاز، فمعنى كلامه صحيح؛ لأنا نعتقد فيهما المجاز، وندين الله بتقديسه عن المفهوم الحقيقي، فلا بأس عليه في معنى إطلاقه، غير أنا مخاطبون باجتناب الألفاظ الموهمة في حق جلال الله تعالى وإن كانت معانيها صحيحة، وأي إيهام أشد من إيهام لفظ التخييل. ألا ترى كيف استعمله الله فيما أخبر أنه سحر وباطل في قوله: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾ فلا يشك في وجوب اجتنابه، ثم يعود بنا الكلام إلى إطلاقه ههنا فنقول: هو منكر لفظًا ومعنى. أما اللفظ فقد تقدم، وأما المعنى فلأنا نعتقد أن سؤال جهنم وجوابها حقيقة، وأن الله تعالى يخلق فيها الإدراك بذلك بشرطه، وكيف نفرض وقد وردت الأخبار وتظاهرت على ذلك: منها هذا: ومنها: لجاج الجنة والنار. ومنها: اشتكاؤها إلى ربها فأذن لها في نفسين. وهذه وإن لم تكن نصوصًا فظواهر يجب حملها على حقائقها؛ لأنا متعبدون باعتقاد الظاهر ما لم يمنع مانع، ولا مانع ههنا «فإن القدرة صالحة. والعقل يجوز، والظواهر قاضية بوقوع ما صوره العقل، وقد وقع مثل هذا قطعًا في الدنيا. كتسليم الشجر وتسبيح الحصا في كف النبي ﷺ وفي يد أصحابه، ولو فتح باب المجاز والعدول عن الظواهر في تفاصيل المقالة لا تسع الخرق وضل كثير من الخلق عن الحق، وليس هذا كالظواهر الواردة في الإلهيات مما لم يجوز العقل اعتقاد ظاهرها، فإن العدول فيها عن ظاهر الكلام بضرورة الانقياد إلى أدلة العقل المرشدة إلى المعتقد الحق، فاشدد =

يقصد به تصوير المعنى في القلب وتثبيته، وفيه معنيان، أحدهما: أنها تمتلىء مع اتساعها وتباعد أطرافها حتى لا يسعها شيء[1] ولا يزاد على امتلائها، لقوله تعالى: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾ [السجدة: ١٣] والثاني: أنها من السعة بحيث يدخلها من يدخلها وفيها موضع للمزيد. ويجوز أن يكون ﴿هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ استكثارًا للداخلين فيها واستبداعًا للزيادة[2] عليهم لفرط كثرتهم. أو طلبًا للزيادة غيظًا على العصاة. والمزيد: إما مصدر كالمحيد والمميد، وإما اسم مفعول كالمبيع.

﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾﴾

﴿غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ نصب على الظرف، أي: مكانًا غير بعيد. أو على الحال، وتذكيره لأنه على زنة المصدر، كالزئير والصليل؛ والمصادر يستوي في الوصف بها المذكر والمؤنث. أو على حذف الموصوف، أي: شيئًا غير بعيد، ومعناه التوكيد، كما تقول: هو قريب غير بعيد، وعزيز غير ذليل. وقرئ: ﴿تُوعَدُونَ﴾ بالتاء والياء، وهي جملة اعتراضية. و﴿لِكُلِّ أَوَّابٍ﴾ بدل من قوله للمتقين، بتكرير الجارّ كقوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ﴾ [الأعراف: ٧٥]، وهذا إشارة إلى الثواب. أو إلى مصدر أزلفت. والأوّاب: الرجاع إلى ذكر الله تعالى، والحفيظ: الحافظ لحدوده تعالى. و﴿مَّنْ خَشِيَ﴾ بدل بعد بدل تابع لكل. ويجوز أن يكون بدلاً عن موصوف أوّاب وحفيظ، ولا يجوز أن يكون في حكم أوّاب وحفيظ؛ لأنّ من لا يوصف به ولا يوصف من بين الموصولات إلا بالذي وحده. ويجوز أن يكون مبتدأ خبره: يقال لهم ادخلوها بسلام، لأنّ ﴿مَّنْ﴾ في معنى الجمع. ويجوز أن يكون منادى كقولهم: من لا يزال محسنًا أحسن إليّ، وحذف حرف النداء للتقريب ﴿بِٱلْغَيْبِ﴾ حال من المفعول، أي: خشيه وهو غائب لم يعرفه، وكونه معاقبًا إلا بطريق الاستدلال. أو صفة لمصدر خشي، أي خشيه خشية ملتبسة بالغيب، حيث خشي عقابه وهو غائب، أو خشية/ ٢/ ١٩٥ب بسبب الغيب الذي أوعده به من عذابه، وقيل: في الخلوة حيث لا يراه أحد. فإن قلت: كيف قرن بالخشية اسمه الدال على سعة الرحمة؟[3]

= يدك بما فصل في هذا الفصل، مما أرشدتك به إلى منهج القرب والوصل، والله الموفق.

(١) قوله: «حتى لا يسعها شيء» كأن فيه قلبًا. (ع)

(٢) قوله: «واستبداعًا للزيادة» لعله واستبعادًا. (ع)

(٣) قال محمود: «إن قلت: كيف قرن الخشية باسمه الدال على سعة الرحمة... إلخ» قال أحمد: ومن =

قلت: للثناء البليغ على الخاشي وهو خشيته، مع علمه أنه الواسع الرحمة. كما أثنى عليه بأنه خاش، مع أنّ المخشي منه غائب، ونحوه: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ [المؤمنون: ٦٠] فوصفهم بالوجل مع كثرة الطاعات. وصف القلب بالإنابة وهي الرجوع إلى الله تعالى؛ لأنّ الاعتبار بما ثبت منها في القلب. يقال لهم: ﴿ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ﴾ أي سالمين من العذاب وزوال النعم. أو مسلمًا عليكم يسلم عليكم الله وملائكته ﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ﴾ أي يوم تقدير الخلود، كقوله تعالى: ﴿فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣] أي مقدّرين الخلود ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ هو ما لم يخطر ببالهم ولم تبلغه أمانيهم، حتى يشاؤوه. وقيل: إن السحاب تمرّ بأهل الجنة فتمطرهم الحور، فتقول: نحن المزيد الذي قال الله عز وجل: ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾.

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ ﴿٣٦﴾﴾

«فنقبوا» وقرئ بالتخفيف: فخرقوا في البلاد ودوّخوا[1]. والتنقيب: التنقير عن الأمر والبحث والطلب. قال الحارث بن حلزة [من الخفيف]:

نَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ مِنْ حَذَرِ الْمَوْ ... تِ وَجَالُوا فِي الأَرْضِ كُلَّ مَجَالِ[2]

ودخلت الفاء للتسبيب عن قوله: ﴿هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا﴾ أي: شدّة بطشهم أبطرتهم وأقدرتهم على التنقيب وقوّتهم عليه. ويجوز أن يراد: فنقب أهل مكة في أسفارهم ومسايرهم في بلاد القرون، فهل رأوا لهم محيصًا حتى يؤملوا مثله لأنفسهم، والدليل على صحته قراءة من قرأ: «فنقبوا» على الأمر، كقوله: ﴿فسيحوا في الأرض﴾ [التوبة: ٢] وقرئ بكسر القاف مخففة من النقب وهو أن يتنقب خف البعير. قال [من الرجز]:

مَا مَسَّهَا مِنْ نَقَبٍ وَلاَ دَبَرْ[3]

= هذا الوادي بالغ رسول الله ﷺ في الثناء على صهيب بقوله: «نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه».

(١) قوله: «ودوخوا» الذي في الصحاح: أن دوخ البلاد بمعنى قهرها واستولى على أهلها. (ع)

(٢) للحرث بن كلدة. والنقب: الطريق. ونقبوا، أي: ساروا في طرق البلاد ونقروا وفتشوا على مهرب وملجأ، لأجل حذرهم من الموت. وجالوا، أي: ذهبوا في الأرض. والجول: الناحية والجانب، أي: ساروا في نواحي الأرض وجوانبها، كل مجال، أي: كل طريق، أو كل جولان؛ لأن مفعل صالح للمكان والحدث.

(٣) أقسم بالله أبو حفص عمر ... ما مسها من نقب ولا دبر
اغفر له اللهم إن كان فجر

لأعرابي: شكا إلى عمر رضي الله عنه ضعف ناقته، فأعطاه شيئًا من الدقيق ولم يعطه مطية، فولى يقول ذلك: فأعطاه مراده. ومن زائدة في الفاعل، مفيدة للمبالغة في الاستغراق. والنقب ـ كالتعب =

والمعنى: فنقبت أخفاف إبلهم. أو: حفيت أقدامهم ونقبت، كما تنقب أخفاف الإبل لكثرة طوفهم في البلاد ﴿هَلۡ مِن مَّحِيصٍ﴾ من الله، أو من الموت.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ أَوۡ أَلۡقَى ٱلسَّمۡعَ وَهُوَ شَهِيدٞ ٣٧﴾

﴿لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ﴾ أي قلب واع؛ لأنّ من لا يعي قلبه فكأنه لا قلب له. وإلقاء السمع: الإصغاء ﴿وَهُوَ شَهِيدٞ﴾ أي حاضر بفطنته؛ لأنّ من لا يحضر ذهنه فكأنه غائب، وقد ملح الإمام عبد القاهر في قوله لبعض من يأخذ عنه [من السريع]:

مَا شِئْتَ مِنْ زَهْزَهَةٍ وَالْفَتَى ... بِمُصْقِلابَاذِ لِسَقْيِ الزُّرُوعِ[1]

= ـ: ضرر خف البعير من الحفا، ويطلق على الجرب والحكة ورقة الجلد. والدبر كالتعب أيضًا: انجراح مؤخر الظهر من الحمل ونحوه، ووقوع ألف الوصل أول المصراع سائغ، لأنها محل ابتداء، كما نص عليه الخليل، والمراد بالفجور: الحنث.

لرؤبة في شرح المفصل ٣/ ٧١، وليس في ديوانه، ولا يمكن أن يكون رؤبة هو الذي قاله لعمر بن الخطاب، ذلك أنه توفي سنة ١٤٥هـ، ولم يعتبره أحد من التابعين فضلاً عن المخضرمين. وهو لعبد الله بن كيسبة أو لأعرابي في خزانة الأدب ٥/ ١٥٤، ١٥٦، ولأعرابي في شرح التصريح ١/ ١٢١، والمقاصد النحوية ٤/ ١١٥، ولسان العرب (نقب)، (فجر)، وتاج العروس (نقب)، (فجر)، وتهذيب اللغة ١١/ ٥٠، وبلا نسبة في أوضح المسالك ١/ ١٢٨، وشرح الأشموني ١/ ٥٩، وشرح شذور الذهب ص ٥٦١، وشرح ابن عقيل ص ٤٨٩، ومعاهد التنصيص ١/ ٢٧٩، وأساس البلاغة (نقب)، وديوان الأدب ٢/ ١١١، وكتاب العين ٨/ ٣٠٧.

(١)
يجيء في فضلة وقت له ... مجيء من شاب الهوى بالنزوع
ثم يرى جبلة مشبوبة ... قد شددت أحماله بالنسوع
ما شئت من زهزهة والفتى ... بمصقلا باذ لسقي الزروع

ملح ولمح به الإمام عبد القاهر في بعض من يأخذ عنه ولا يحضر ذهنه، وهو أبو عامر الجرجاني، أي: يجيء في بقية وقت له مع تعلق فكره بغير ما جاء له، كمجيء من خلط الهوى بالنزوع، أي الرجوع ويطلق النزوع على الشوق أيضًا، ثم يرى خلقة وطبيعة غليظة مشعلة بشهوات الشباب. والجبلة ـ بكسرتين فتشديد، وبتثليث أوله وسكون ثانيه ـ: الخلقة والطبيعة؛ ولعلها مضافة لما بعدها إضافة الموصوف لصفته. ويقال: شب يشب ويشب شبابًا وشبيبًا: قمص ولعب. وشببت النار شبًا وشبوبًا: أوقدتها. وشببته: أظهرته. وأشببته: هيجته. ويروى: ثم ترى جلسة مستوفز، أي: مستعجل متهيء للقيام. وهذه الرواية أوفق بالوزن والمعنى. والنسع: حزام عريض يوضع تحت صدر المطية، وستر الهودج، واسترخاء لحم الأسنان، وريح الشمال، والذهاب، وسرعة الإنبات. وجمعه: أنساع ونسوع ونسع. أي: والحال أنه قد شددت أحماله بالنسوع، كناية عن الرحيل. ويقول الفارسي عند استحسان الأمر: زهازه، فأخذ منه الزهزهة، أي: ما شئت من الاستحسان عند التعلم موجود منه كثير، والخطاب لغير معين، والحال أن الفتى في مصقلا باد، وهي محلة بجرجان، ويروى بالذال المعجمة، أي: كائن هناك لسقي زروعه. لما كان قلبه غير متعلق إلا بذلك المكان، كان جسمه كأنه هناك، ولقد ترقى في التشبيه حيث شبهه بمن خلط الهوى =

أو: وهو مؤمن شاهد على صحته وأنه وحي من الله، أو وهو بعض الشهداء في قوله تعالى: ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣] وعن قتادة وهو شاهد على صدقه من أهل الكتاب لوجود نعته عنده وقرأ السدي وجماعة: «ألقى السمع»، على البناء للمفعول. ومعناه: لمن ألقى غيره السمع وفتح له أذنه فحسب ولم يحضر ذهنه وهو حاضر الذهن متفطن. وقيل: ألقى سمعه أو السمع منه.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾﴾

اللغوب: الإعياء، وقرئ بالفتح بزنة القبول والولوع، قيل: نزلت في اليهود ـ لعنت ـ تكذيبًا لقولهم: خلق الله السموات والأرض في ستة أيام، أولها الأحد، وآخرها الجمعة، واستراح يوم السبت، واستلقىٰ علىٰ العرش، وقالوا: إن الذي وقع من التشبيه في هذه الأمة إنما وقع من اليهود، ومنهم أخذ.

﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ ﴿٤٠﴾ وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾﴾

﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ﴾ أي اليهود ويأتون به من الكفر والتشبيه. وقيل: فاصبر على ما يقول المشركون من إنكارهم البعث؛ فإنّ من قدر على خلق العالم قدر على بعثهم والانتقام منهم. وقيل: هي منسوخة بآية السيف. وقيل: الصبر مأمور به في كل حال ﴿بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ حامدًا ربك، والتسبيح محمول على ظاهره أو على الصلاة، فالصلاة ﴿قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ﴾ الفجر ﴿وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾ الظهر والعصر ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ﴾ العشاءان. وقيل التهجد ﴿وَأَدْبَارَ السُّجُودِ﴾ التسبيح في آثار الصلوات، والسجود والركوع يعبر بهما عن الصلاة. وقيل النوافل بعد المكتوبات. وعن علي رضي الله عنه: الركعتان بعد المغرب. وروي عن النبي ﷺ: «من صلى بعد المغرب قبل أن يتكلم كتبت صلاته في عليين» (١٤٩٥) وعن

١٤٩٥ ـ روي مرسلاً ومسندًا.
أما المسند فمن حديث أنس وعائشة:
حديث أنس: قال الزيلعي (٣/ ٣٥٩):
رواه الدارقطني في كتابه غرائب مالك من حديث الحسن بن الليث بن حاجب: ثنى أحمد بن =

= بغيره تشبيهًا بليغًا. ثم بمن تهيأ للرحيل على سبيل التمثيل، ثم بمن سافر بالفعل ووصل مقصده واشتغل بما فيه تشبيهًا بليغًا، فلله دره بليغًا.

ابن عباس رضي الله عنهما: الوتر بعد العشاء. والأدبار: جمع دبر. وقرئ: «وأدبار» من أدبرت الصلاة إذا انقضت وتمت. ومعناه: ووقت انقضاء السجود، كقولهم: آتيك خفوق النجم ﴿وَٱسْتَمِعْ﴾ يعني واستمع لما أخبرك به من حال يوم القيامة. وفي ذلك تهويل وتعظيم لشأن المخبر به والمحدّث عنه، كما يروى عن النبي ﷺ أنه قال سبعة أيام لمعاذ بن جبل :/ ٢/ ١٩٦أ «يا معاذًا اسمع ما أقول لك»، ثم حدّثه بعد ذلك (١٤٩٦). فإن قلت: بم انتصب اليوم؟ قلت: بما دلّ عليه ﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ﴾ أي: يوم ينادي المنادي يخرجون من القبور. ويوم يسمعون: بدل من ﴿يَوْمَ يُنَادِ﴾ و﴿ٱلْمُنَادِ﴾ إسرافيل ينفخ في الصور وينادي: أيتها العظام البالية والأوصال المنقطعة واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة إنّ الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء. وقيل: إسرافيل ينفخ وجبريل ينادي بالحشر ﴿مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ من صخرة بيت المقدس، وهي أقرب الأرض من السماء باثني عشر ميلاً، وهي

= سليمان الأسدي قال: قرأت على مالك بن أنس عن ابن شهاب الزهري عن أنس بن مالك قال: سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول: «من صلى المغرب ثم صلى بعدها ركعتين قبل أن يتكلم بشيء كتبتا في عليين فإن صلى أربعًا كان كالمعقب غزوة بعد غزوة فإن صلى اثنتي عشرة ركعة بني له في الجنة قصر من ياقوت فيه من الشجر ونور الثمر ما لا يحصيه إلا رب العالمين».

قال الدارقطني: هذا حديث موضوع على مالك ومن دونه في الإسناد ضعفاء» ا. هـ.

وحديث عائشة: رواه ابن شاهين في الترغيب (١/ ١٣٠) رقم (٧٤) باب فضل صلاة المغرب والصلاة بعدها، من حديث عائشة قالت: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «ما من صلاة أحب إلى الله عز وجل من صلاة المغرب بها يفتح العبد ليله ويختم بها نهاره ـ لم يحطها عن مسافر ولا مقيم، من صلاها وصلى بعدها ركعتين من غير أن يكلم جليسًا ـ كتبت في عليين أو رفعت في عليين ـ شك محمد بن عون ـ فإن صلاها وصلى بعدها أربعًا، من غير أن يكلم جليسًا ـ بنى الله عز وجل له قصرين مكللين بالدر والياقوت بينهما من الجنات ما لا يعلم علمه إلا هو وإن صلاها وصلى بعدها ستًا من غير أن يكلم جليسًا غفر له ذنوب أربعين عامًا».

قال الحافظ ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف:

أخرجه ابن أبي شيبة وعبد الرزاق من رواية عبدالعزيز بن عمر: سمعت مكحولاً يقول: بلغني أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: «من صلى ركعتين بعد المغرب قبل أن يتكلم كتبتا ـ أو قال: رفعتا ـ في عليين» هذا مرسل. وقد روي موصولاً عن أنس عن عائشة ـ رضي الله عنهما ـ

أما حديث أنس فرواه الدارقطني في غرائب مالك، من رواية أحمد بن سليمان الأسدي عنه عن الزهري عن أنس به وأتم منه. وقال: هذا موضوع على مالك. وأما حديث عائشة فرواه ابن شاهين في الترغيب ـ وفي إسناده جعفر بن جميع. انتهى.

وأما المرسل: فرواه عبدالرزاق في مصنفه (٣/ ٧٠) رقم (٤٨٣٣)، وعزاه الزيلعي (٣/ ٣٦٠) لابن أبي شيبة.

من طريق عبدالعزيز بن عمر بن عبدالعزيز قال: سمعت مكحولاً يقول: بلغني أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: من صلى ركعتين بعد المغرب قبل أن يتكلم كتبتا»، أو قال: «رفعتا في عليين».

١٤٩٦ ـ بيض له الزيلعي (٣/ ٣٦١) وقال الحافظ: لم أجده. انتهى.

وسط الأرض. وقيل: من تحت أقدامهم. وقيل: من منابت شعورهم يسمع من كل شعرة: أيتها العظام البالية، و﴿ٱلصَّيْحَةَ﴾ النفخة الثانية ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ متعلق بالصيحة، والمراد به البعث والحشر للجزاء.

﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾﴾

وقرئ: «تشقق» وتشقق بإدغام التاء في الشين، وتشقق على البناء للمفعول، وتنشق ﴿سِرَاعًا﴾ حال من المجرور ﴿عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾ تقديم الظرف يدل على الاختصاص، يعني: لا يتيسر مثل ذلك الأمر العظيم إلا على القادر الذات الذي لا يشغله شأن عن شأن، كما قال تعالى: ﴿مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ [لقمان: ٢٨].

﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾﴾

﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ﴾ تهديد لهم وتسلية لرسول الله ﷺ ﴿بِجَبَّارٍ﴾ كقوله تعالى: ﴿بِمُصَيْطِرٍ﴾ [الغاشية: ٢٢] حتى تقسرهم على الإيمان، إنما أنت داع وباعث[1]. وقيل: أريد التحلم عنهم وترك الغلظة عليهم. ويجوز أن يكون من جبره على الأمر بمعنى أجبره عليه، أي: ما أنت بوال عليهم تجبرهم على الإيمان. وعلى بمنزلته في قولك: هو عليهم، إذا كان واليهم ومالك أمرهم ﴿مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾﴾ [النازعات: ٤٥] لأنه لا ينفع إلا فيه دون المصرّ على الكفر.

عن رسول الله ﷺ «من قرأ سورة ق هوّن الله عليه تارات[2] الموت وسكراته» (١٤٩٧).

١٤٩٧ ـ تقدم برقم (٣٤٦) وقال الحافظ ابن حجر: أخرجه الثعلبي وابن مردويه والواحدي من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه ـ انتهى.

---

(١) قوله: «إنما أنت داع وباعث» أي: تبعث الناس على الإيمان. (ع)

(٢) قوله: «هون الله عليه تارات الموت» في الصحاح: فعل ذلك الأمر تارة بعد تارة، أي: مرة بعد مرة. (ع)